المحاضرة الثالثة: حقوق الإنسان بين العصور الوسطى وعصر النهضة

بعد أن عرفنا جذور حقوق الإنسان في الحضارات القديمة والديانات السماوية، تدخل الإنسانية مرحلة جديدة مختلفة تمامًا: مرحلة العصور الوسطى التي امتدّت تقريباً من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر، تُعرف هذه المرحلة بكونها زمن الصراع بين "السلطة الدينية" و "السلطة الملكية" وهي الفترة التي بدأت فيها أوروبا تتساءل: من يحكم؟ وما حدود سلطته؟ وهل للإنسان حق أمام الكنيسة أو الملك؟

وهنا بدأت تتبلور أولى الوثائق التي قيّدت السلطة، ثم تلتها مرحلة النهضة التي أطلقت ثورة معرفية قادت إلى عصر التنوير والحقوق الحديثة.

أولاً: حقوق الإنسان في العصور الوسطى – تقييد سلطة الحاكم

رغم انتشار الإقطاع وسيطرة الكنيسة، إلا أنّ هذه المرحلة شهدت ولادة وثائق مهمة وضعت أساسًا لحقوق الإنسان في أوروبا.

.1**الماغنا كارتا (العهد الأعظم)** – 1215 وهو اهم الوثائق التي صدرت في الغرب عن حقوق الانسان ويعرف ايضاً (بالماغناكارتا)الذي صدر عام 1215 وفرضت قيود على ملك انكلترا جون وقيدوا سلطته واجبروه على توقيعها واحتوت على 63 مادة وكانت خطوة مفصلية لأنها:

ماذا تتضمن الماغناكارتا من حقوق أو المواضيع الاساسية ؟

- منعت اعتقال أي شخص دون محاكمة عادلة.
- قيّدت قدرة الملك على فرض الضرائب دون موافقة ممثلي الشعب.
- أكدت أن الملك ليس فوق القانون.
- منحت بعض الحقوق للمدن والكنيسة والنساء الأرامل.

.2**الهبياس كوربس – 1679 (لاحق للقرون الوسطى لكنه استمرار لفكرتها)**

- يمنع الاعتقال التعسفي.
- يضمن حق الشخص في معرفة سبب توقيفه.
- يُعتبر "حجر الزاوية" للحريات الشخصية.

3- **مفكرو القرون الوسطى**

ظهر مفكرون حاولوا إعادة التفكير في علاقة الإنسان بالسلطة:

روجر بيكون(1214–1292) وهو مفكر انكليزي (1214–1292) رائد المنهج التجريبي دعا إلى استقلال المعرفة والعقل عن السلطة الدينية.

توماس الأكويني: وهو الفيلسوف الايطالي الذي ولد (1224–1274) ودرس في فرنسا ونظريته على الدولة قد حولت الفكر السياسي الاوربي الى منعطف جديد رأى أن الدولة تُوجد لخدمة الإنسانأكد أن القانون يجب أن يكون لتحقيق مصلحة الناس.

مارتن لوثر(1483–1546) وهو زعيما بارزا لحركة الاصلاح الديني في المانيا دعا لحرية الضمير ورفض سلطة الكنيسة المطلقة.

هذه الأفكار شكّلت بداية التحوّل من "سلطة مطلقة" إلى "حقوق للإنسان"

ثانياً: عصر النهضة (1300–1600) – عودة الإنسان إلى مركز الاهتمام

دخلت أوروبا مرحلة جديدة تمامًا: نهضة الفكر والفن والعلوم وكان في النهضة مهمة لحقوق الإنسان لأنها قدّمت ثلاثة تغييرات تاريخية:

1. عودة العقل أصبح العقل مصدرًا أساسيًا للمعرفة، وليس فقط التفسير الديني.
2. الاهتمام بالإنسان ظهرت نظرة جديدة تقول بأن الإنسان قادر على التغيير والإبداع والاختيار.

.3نقد السلطة بدأ المفكرون ينتقدون الحكم المطلق، ويدعون إلى احترام حرية الفرد.

وثيقة مرسوم نانت – 1598

- منحت البروتستانت حرية العبادة في فرنسا.
- خطوة كبرى نحو التسامح الديني.
- قلّصت سلطة الكنيسة على الضمير الفردي.

مفكرو النهضة الذين أثّروا في حقوق الإنسان

ميشيل دي مونتين(1592–1533) فيلسوف فرنسي اشار ان من حق الانسان ان يجاهد من اجل سعادته على الأرض ودافع عن التسامح والتنوع.

توماس مور(1535–1478) صاحب "اليوتوبيا"، دعا إلى العدالة الاجتماعية والمساواة.

وعليه فان العصور الوسطى قدّمت أول خطوة لتقييد السلطة، أما عصر النهضة فقد أعاد اكتشاف الإنسان والعقل والحرية، وبهذه المرحلة أصبح الطريق ممهداً لظهور عصر التنوير، الذي وضع الأسس النظرية لحقوق الإنسان الحديثة، ثم الثورات الكبرى التي حوّلت هذه الأفكار إلى قوانين مكتوبة.

ثالثا: عصر التنوير والثورات الكبرى وتدوين حقوق الإنسان

بعد عصر النهضة، الذي أعاد الاعتبار للعقل والإنسان، دخلت أوروبا مرحلة جديدة تُعرف بـ عصر التنوير (القرنان 17–18)، في هذا العصر لم يعد الإنسان يقبل أن تكون السلطة مطلقة، أو أن تكون الحرية منحة من الحاكم، بل بدأ المفكرون يؤسسون لفكرة: أن الإنسان يولد حُرًّا، وأن الدولة تُقام لحماية

حقوقه، وليس العكس، وأفكار التنوير قادت فيما بعد إلى ثلاث ثورات غيّرت العالم ووضعت أول وثائق مكتوبة لحقوق الإنسان.

أولاً: عصر التنوير – الأساس الفلسفي لحقوق الإنسان الحديثة

1 .**توماس هوبز(1588–1679)** فيلسوف انكليزي والذي تأثرت فلسفته بثورة القرن السابع عشر الانكليزية الليبرالية صاحب كتاب "ليفياثان"، ورغم أنه كان يميل إلى السلطة القوية، إلا أنه وضع فكرة مهمة: البشر يتعاقدون مع الدولة لحماية حياتهم وأمنهم، وهذه بداية "نظرية العقد الاجتماعي".

2 .**جون لوك** (1632–1704) وهو فيلسوف انكليزي كرس في كتابه (الحكم المدني) وركز في دفاعه عن القانون ونقده للسلطة ودافع عن حقوق الشعب في مقاومة الطغيان **و**من أهم فلاسفة التنوير في الحقوق. وقال إن مهمة الدولة حماية هذه الحقوق، وإذا فشلت: فللشعب الحق بمقاومة الطغيان.

3 .**مونتسكيو(1689–1755)** وهو عالم اجتماعي فرنسي درس في كل الجوانب السياسية والاقتصادية في حياة عصره ووضعها في كتابه (روح القوانين) الذي نشره في جنيف وهو اشهر مؤلفاته قدّم أهم فكرة في النظم السياسية الحديثة: فصل السلطات إلى: السلطة التشريعية، السلطة التنفيذية، السلطة القضائية. ليمنع الاستبداد ويحمي الحرية.

4 .**فولتير(1694–1778)** مفكر له دور في نشر افكار الحرية ومكافحة التعصب وكرس قلمه ومال وقوة جسمه الضعيف لإثبات حق كل انسان في الحرية الفكرية ومكافحة المتعصبين والظلم

- دافع بقوة عن حرية التعبير وحرية المعتقد.
- حارب التعصب الديني والاضطهاد.

كان يقول:" قد أختلف معك، لكني مستعد للموت دفاعاً عن حقك في التعبير"

5 .**جان جاك روسو(1712–1778)** اب الثورة الفرنسية في افكاره عن حقوق الانسان وبرز اطار حركة التنوير الفرنسي وهو ايضا فيلسوف وعالم اجتماع **ومن** مؤلفاته "العقد الاجتماعي" قدّم فكرة "الإرادة العامة"" وقال: السيادة للشعب، وليس للملك وشدّد على المساواة والحرية المدنية.

ثانياً: الثورات الكبرى – تحويل الأفكار إلى حقوق مكتوبة فعصر التنوير لم يبقَ مجرد فكر، بل تحوّل إلى ثورات هزت العالم وأطلقت عصر الحقوق الحديثة.

1 .**الثورة الإنجليزية** – 1689 أنتجت **وثيقة شرعة الحقوق** وهي الشرعة التي اصدرها البرلمان البريطاني في عام 1689 والتي اشارت للنهاية الحقيقية للحكم الملكي المطلق في بريطانيا وفرضت احترام القانون والبرلمان على الملكة ماري التي أكدت:

- سيادة القانون
- صلاحيات التي تتمتع بها الملكة في تعليق وتنفيذ القوانين اعتبارها غير شرعية دون موافقة البرلمان
- منع الملك من إلغاء القوانين وحده
- حرية التعبير داخل البرلمان
- منحت المواطنين حق التظلم لدى الملك وان اي سجن أو ملاحقة بسبب ذلك أمر غير مشروع.

هذه أول وثيقة تحدد أن السلطة ليست مطلقة.

2 .**الثورة الأمريكية – 1776** نتج عنها وثيقة مهمة

إعلان الاستقلال :وثيقة اعلنت في مايس 1776 في ولاية فريجينيا والتي اخذ مضمونها في اعلان الاستقلال الامريكي في 4 تموز 1776 في نفس العام واعتبرها بعض الباحثين نصراً كبيراً لحقوق الانسان وصاغاها كل من توماس جفرسون وبنيامين فرانكلين وجون ادامز.

وهو نص تاريخي وضع مبادئ كبرى:

1- خلق الناس جميعاً متساوين

2- منحهم الخالق حقوقاً خاصة لا تنتزع منها الحياة والحرية والسعي لنيل السعادة

وأصبحت هذه المبادئ أساس الدستور الأمريكي.

3 .**الثورة الفرنسية – 1789** أصدرت أهم وثيقة حديثة: إعلان حقوق الإنسان والمواطن، الذي نص على: الحرية، المساواة، الأمن، مقاومة الظلم، حرية الفكر والرأي

وكان أول إعلان عالمي يصلح لكل زمان ومكان.

من اهم الاسباب التي مهدت لاندلاع الثورة الفرنسية عام 1789:

1- حركة التنوير في فرنسا التي شعت خارج حدود تلك البلاد
2- دعم فرنسا لحرب استقلال الولايات المتحدة
3- السخط الشعبي على الملكية المستبدة التي بلغ الظلم مداه على يد لويس السادس عشر
4- تفاقم الازمة المالية
5- امتلاء سجن الباستيل بالمفكرين والكتاب وخضوع السجناء الأحرار لأقسى انواع التعذيب والتنكيل

ثالثاً: ملامح التطور بعد الثورات

هذه الثورات أعادت تعريف علاقة الفرد بالدولة، وأكدت أن:

1. الحرية حق وليست منحة.
2. المساواة أصل، ولا فرق بين إنسان وآخر.
3. الدولة خاضعة للقانون والدستور.
4. الحقوق يجب أن تُكتب وتُحمى وتشرف عليها مؤسسات.

هذه المبادئ أصبحت الأساس الذي بُنيت عليه لاحقًا: عصبة الأمم 1919، ومن بعدها الأمم المتحدة 1945، وصولًا إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948.

وعليه فان:

- العصور الوسطى قيّدت سلطة الحاكم.
- عصر النهضة أعاد اكتشاف العقل والإنسان.
- عصر التنوير صاغ الأسس الفلسفية للحقوق.
- الثورات الكبرى حوّلت هذه الأفكار إلى وثائق مكتوبة.

وبذلك أصبح العالم مستعدًا لظهور الإعلانات الدولية الحديثة.